بسم الله الرحمن الرحيم

«الزَّارِعُ الْمُجِدُّ» 19/10/1443هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الزِّرَاعَةَ مِنْ أَهَمِّ الرَّكَائِزِ الِاقْتِصَادِيَّةِ لِبِنَاءِ الدُّوَلِ وَاسْتِقْرَارِهَا، فَهِيَ صَمَّامُ الْأَمَانِ بِإِذْنِ اللهِ لِتَوْفِيرِ الْغِذَاءِ، وَتَحْقِيقِ الِاكْتِفَاءِ، وَالْمُتَأَمِّلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ الزِّرَاعَةَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ؛ تَنْبِيهًا عَلَىٰ أَهَمِّيَّتِهَا، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ»، كَمَا أَرْشَدَنَا نَبِيُّنَا ﷺ إِلَىٰ الْمُدَاوَمَةِ عَلَىٰ الزِّرَاعَةِ إِلَىٰ آخِرِ لَحْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا». وَمِنْ شَرَفِ الزِّرَاعَةِ أَنَّ الْإِسْلَامَ جَعَلَهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ الَّتِي يَمْتَدُّ ثَوَابُهَا بَعْدَ مَوْتِ صَاحِبِهَا، أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، وَالْبَزَّارُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ»، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَىٰ نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَىٰ مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ». إِنَّ الزَّارِعَ الْمُجِدَّ يَلْتَمِسُ بِبُكُورِهِ الْبَرَكَةَ فِي رِزْقِهِ؛ حَيْثُ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَدَا النَّسَائِيِّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ،

عَنْ صَخْرِ بْنِ وَدَاعَةَ الْغَامِدِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا». وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَأَثْرَىٰ، وَكَثُرَ مَالُهُ.

عِبَادَ اللهِ: لَا شَكَّ أَنَّ وَاقِعَنَا مَرِيرٌ، وَمَسِيرَةَ حَيَاتِنَا يُجَاذِبُهَا عَنْ مُوَاصَلَةِ رِحْلَةِ الْبِنَاءِ جَوَاذِبُ الْأَزَمَاتِ الْمُتَلَاحِقَةُ. وَلَكِنْ هَلْ يَعْنِي ذَلِكَ أَنْ نَسْتَسْلِمَ لَهَا، وَنَقْعُدَ عِنْدَهَا، وَنَتْرُكَ الْعَمَلَ الْجَادَّ لِدِينِنَا وَدُنْيَانَا؟.

إِنَّ هَذَا الْخِيَارَ السَّمِجَ لَا يَرْضَىٰ بِهِ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ، وَهُوَ يَقْرَأُ حَيَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَنْفُخُ رُوحَ الْأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ فِي نُفُوسِ أَصْحَابِهِ ﷺ، وَهُمْ جَمِيعًا فِي أَشَدِّ الظُّرُوفِ ضَرَاوَةً وَبَلَاءً، حَتَّىٰ يَجْعَلَ مِنَ الْمِحْنَةِ مِنْحَةً، وَمِنَ الْبَلَاءِ نَافِذَةً مُتَّسِعَةً يَرَىٰ مِنْهَا أَيَّامَ النَّعْمَاءِ الرَّخِيَّةَ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ﷺ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». إِنَّهَا كَلِمَاتٌ عَظِيمَةٌ أَوْدَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَلْبَ خَبَّابٍ ﷺ الَّذِي عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ عَذَابًا شَدِيدًا، وَلَكِنَّهُ بِنَاءُ النُّفُوسِ عَلَىٰ الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ حَتَّىٰ تَنْتَصِرَ عَلَيْهَا، وَتَسْتَهِينَ بِهَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ بِآلَامِهَا، حَتَّىٰ تَبْلُغَ آمَالَهَا.

فَاعْمَلْ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَقْعُدْ، وَلَا تَجْعَلِ الْقُنُوطَ يَتَسَلَّلُ إِلَىٰ نَفْسِكَ، وَفَوِّتْ عَلَىٰ أَعْدَاءِ الْحَقِّ فُرْصَةَ رُؤْيَتِكَ ذَابِلًا غَيْرَ عَامِلٍ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ يَصْنَعُونَ الْأَزَمَاتِ لِلْمُسْلِمِينَ لِيُوقِفُوهُمْ عَنِ الْإِنْتَاجِ لِدِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ، فَمِنْ أَكْثَرِ مَا يُغِيظُهُمْ، وَيُؤَجِّجُ حَنَقَهُمْ أَنْ يَرَوْكَ نَشِيطًا مُتَفَائِلًا لَمْ تُقَيِّدْكَ الْأَزَمَاتِ.

وَلَا تَقْبَلْ نَصِيحَةَ الشَّيْطَانِ الْكَاذِبَةَ إِنْ جَاءَكَ وَأَنْتَ مُنْهَمِكٌ فِي الْإِنْتَاجِ وَالْعَمَلِ، مُتَسَلِّحٌ بِالتَّفَاؤُلِ وَالْأَمَلِ فَقَالَ لَكَ: إِنَّكَ بَارِدُ الشُّعُورِ نَحْوَ الْمَكْلُومِينَ، غَافِلٌ عَنْ أَحْزَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَغَايَتُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُقَيِّدَكَ فِي الْغَمِّ وَالْأَسَىٰ؛ لِيُبْعِدَكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: عَلَيْكُمْ بِالْأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ هَنَاءَةِ الْعَيْشِ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: وَفِي الْأَمَلِ سِرٌّ لَطِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّىٰ أَحَدٌ بِعَيْشٍ، وَلَا طَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَشْرَعَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ مِنْهُ الِاسْتِرْسَالُ فِيهِ، وَعَدَمُ الِاسْتِعْدَادِ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ، فَمَنْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يُكَلَّفْ بِإِزَالَتِهِ. اهـ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي «الْفَتْحِ» أَيْضًا: قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ صَحِيحًا، وَلَا يَكُونُ مُتَفَرِّغًا لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُونُ صَحِيحًا، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ، وَتَمَامُ ذَلِكَ: أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَفِيهَا التِّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ، فَمَنِ اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ، وَمَنِ اسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ؛ لِأَنَّ الْفَرَاغَ يَعْقُبُهُ الشُّغْلُ، وَالصِّحَّةُ يَعْقُبُهَا السَّقَمُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَمُ كَمَا قِيلَ:

يَسُرُّ الْفَتَىٰ طُولُ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا ... فَكَيْفَ تَرَىٰ طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

يَرُدُّ الْفَتَىٰ بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ ... يَنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ الْكُبْرَىٰ»: لَمَّا أَرَادَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُسَافِرَ لِقِتَالِ الْخَوَارِجِ عَرَضَ لَهُ مُنَجِّمٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: لَا تُسَافِرْ، فَإِنَّ الْقَمَرَ فِي الْعَقْرَبِ، فَإِنَّكَ إِنْ سَافَرْتَ وَالْقَمَرُ فِي الْعَقْرَبِ - يَعْنِي فِي مَنْزِلَةِ الْعَقْرَبِ - هُزِمَ أَصْحَابُكَ، أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلْ نُسَافِرُ ثِقَةً بِاللهِ وَتَوَكُّلًا عَلَىٰ اللهِ وَتَكْذِيبًا لَكَ، فَسَافَرَ فَبُورِكَ لَهُ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ حَتَّىٰ قَتَلَ عَامَّةَ

الْخَوَارِجِ. اهـ

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَوَائِدِ»: لِلْقَلْبِ سِتَّةُ مَوَاطِنَ يَجُولُ فِيهَا لَا سَابِعَ لَهَا، ثَلَاثَةٌ سَافِلَةٌ، وَثَلَاثَةٌ عَالِيَةٌ. فَالسَّافِلَةُ: دُنْيَا تُزَيَّنُ لَهُ، وَنَفْسٌ تُحَدِّثُهُ، وَعَدُوٌّ يُوَسْوِسُ لَهُ. فَهَذِهِ مَوَاطِنُ الْأَرْوَاحِ السَّافِلَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ تَجُولُ فِيهَا. وَالثَّلَاثَةُ الْعَالِيَةُ: عِلْمٌ يَتَبَيَّنُ لَهُ، وَعَقْلٌ يُرْشِدُهُ، وَإِلَهٌ يَعْبُدُهُ، وَالْقُلُوبُ جَوَّالَةٌ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ. وَاتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ مَادَّةُ كُلِّ فَسَادٍ؛ فَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ يُعْمِي عَنِ الْحَقِّ مَعْرِفَةً وَقَصْدًا، وَطُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَيَصُدُّ عَنِ الِاسْتِعْدَادِ لَهَا، وَلَا يَشُمُّ عَبْدٌ رَائِحَةَ الصِّدْقِ وَهُوَ يُدَاهِنُ نَفْسَهُ، أَوْ يُدَاهِنُ غَيْرَهُ. اهـ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَوَائِدِ» أَيْضًا: وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْإِضَاعَاتِ إِضَاعَتَانِ، هُمَا أَصْلُ كُلِّ إِضَاعَةٍ: إِضَاعَةُ الْقَلْبِ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ، فَإِضَاعَةُ الْقَلْبِ مِنْ إِيثَارِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ، فَاجْتَمَعَ الْفَسَادُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ وَطُولِ الْأَمَلِ، وَالصَّلَاحُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهُدَىٰ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلِّقَاءِ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ. اهـ

عِبَادَ اللهِ: احْذَرُوا الْيَأْسَ وَالْقُنُوطَ وَالتَّشَاؤُمَ؛ فَإِنَّهَا صِفَاتٌ مَقِيتَةٌ، وَسِمَاتٌ سَيِّئَةٌ، تُضْعِفُ الْإِيمَانَ، وَتُغْضِبُ الرَّحْمَنَ، وَتُورِثُ الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ، فَمَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَلَمْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ فِي قَوْلِهِ، عُوقِبَ بِسُوءِ ظَنِّهِ.

يَا دُعَاةَ الْإِسْلَامِ: اجْتَهِدُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ وَأَعَانَكُمْ - فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ، وَاجْتَمِعُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَاحْذَرُوا الْيَأْسَ مِنْ هِدَايَةِ النَّاسِ، فَالْأَمَانَةُ عَلَىٰ أَعْنَاقِكُمْ ثَقِيلَةٌ، أَشْفَقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، وَحَمَّلَكُمُ اللهُ إِيَّاهَا، فَاحْذَرُوا الظُّلْمَ وَالْجَهْلَ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا تَزُولُ الْأَمَانَةُ. وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ، فَعَلَيْهِمَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.